

مقدمة وإهداء

هذه صحف لم تكتب اليوم، وفكر لم تولد حديثاً، وإنما هي صحف انتظمت منذ زمن يربو على ربع قرن، وكادت يومئذ أن تبرز بروزها اليوم، لكن الحوادث والكوارث كانت حواجز قوية عرقلت خطاها، فاضطرتها إلى أن تكمن وتكنّ، فترثت تلتمس من غفلات الدهر فرصة تستجمع فيها ما تشتت من أطرافها، وتستكمل ما نقص من أعطافها، فإن الحوادث كما أخرت طبعها، مسّت وضعها.

أما فكرة الكتاب فقد سبقت مراجعات سبقاً بعيداً، إذ كانت تلتمع في صدري منذ شرح الشباب، التماع البرق في طيات السحاب، وتغلي في دمي غليان الغيرة، تتطلع إلى سبيل سوي يوقف المسلمين على حد يقطع دابر الشغب بينهم، ويكشف هذه الغشاوة عن أبصارهم، لينظروا إلى الحياة من ناحيتها الجدية، راجعين إلى الأصل الديني المفروض عليهم، ثم يسيروا معتصمين بحبل الله جميعاً، تحت لواء الحق إلى العلم والعمل، إخوة بررة يشد بعضهم أزر بعض.

لكن مشهد هؤلاء الأخوة المتصلين بمبدأ واحد، وعقيدة واحدة، كان - وأسفاه - مشهد خصومة عنيفة، تغلو في الجدال، غلو الجهال، حتى كأن التجاليد في مناهج البحث العلمي من آداب المناظرة، أو أنه من قواطع الأدلة! ذلك ما يشير الحفيظة، ويدعو إلى التفكير، وذلك ما يبعث الهم والغم والأسف فما الحيلة؟ وكيف العمل؟ هذه ظروف ملمة في مئين من السنين، وهذه مصائب محدقة بنا من الأمام والوراء، وعن الشمال وعن اليمين، وذاك قلم يلتوي به العقم أحياناً، وتجوّر به الأطماع أحياناً أخرى، وتدور به الحزبية تارة، وتسخره العاطفة تارة أخرى، وبين هذا وذاك ما يوجب الارتباك فما العمل؟ وكيف الحيلة؟

ضقت ذرعاً بهذا وامتألت بحمله همّاً، فهبطت مصر أواخر سنة ١٣٢٩ مؤملاً في (نيله) نيل الأمنية التي أنشدها، وكنت ألهمت أني موفق لبعض ما أريد ومتصل بالذي

أداور معه الرأي ، وأتداول معه النصيحة ، فيسدد الله بأيدينا من (الكنانة) سهماً نصيب به الغرض ، ونعالج هذا الداء الملح على شمل المسلمين بالتمزيق ، وعلى جماعتهم بالتمزيق ، وقد كان - والحمد لله - الذي أملت ، فإن مصر بلد نبئت العلم ، فينمو به على الإخلاص والإذعان للحقيقة الثابتة بقوة الدليل ؛ وتلك ميزة لمصر فوق مميزاتها التي استقلت بها.

وهناك على نعمى الحال ، ورخاء البال ، وابتهاج النفس ، جمعني الحظ السعيد بعلم من أعلامها المبرزين بعقل واسع ، وخلق وادع ، وفؤاد حي ، وعلم عليم ، ومنزل رفيع ، يتبوأه بزعامته الدينية ، بحق وأهلية.

وما أحسن ما يتعارف به العلماء من الروح النقي ، والقول الرضي ، والخلق النبوي ، ومتى كان العالم بهذا اللباس الأنيق المترف ، كان على خير ونعمة ، وكان الناس منه في أمان ورحمة ، لا يأبى أحد أن يفضي إليه بدخيلة رأيه ، أو يبيته ذات نفسه. كذلك كان علم مصر وإمامها ، وهكذا كانت مجالسنا التي شكرناها شكراً لا انقضاء له ولا حد.

شكوت إليه وجدي ، وشكا إليّ مثل ذلك وجداً وضيقاً ، وكانت ساعة موفقة أوحى إلينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمة ، ويلم شعث الأمة ، فكان مما اتفقنا عليه أن الطائفتين - الشيعة والسنة - مسلمون يدينون حقاً بدين الإسلام الحنيف ، فهم فيما جاء الرسول ﷺ به سواء ، ولا اختلاف بينهم في أصل أساسي يفسد التلبس بالمبدأ الإسلامي الشريف ، ولا نزاع بينهم إلا ما يكون بين المجتهدين في بعض الأحكام. لاختلافهم فيما يستنبطونه من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو الدليل الرابع ، وذلك لا يقضي بهذه الشقة السحيقة ، ولا يتجشم هذه المهاوي العميقة ، إذن أي داع أثار هذه الخصومة المتطايير شررها منذ كان هذان الاسمان - سنة وشيعة - إلى آخر الدوران.

ونحن لو محصنا التاريخ الإسلامي ، وتبيننا ما نشأ فيه من عقائد وآراء ونظريات ، لعرفنا أن السبب الموجب لهذا الاختلاف إنما هو ثورة الأمة لعقيدة ، ودفاع عن نظرية ، أو تحزب لرأي ، وأن أعظم خلاف وقع بين الأمة ، اختلافهم في الإمامة ؛ فإنه ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة ، فأمر الإمامة إذن من أكبر الأسباب المباشرة لهذا الاختلاف ، وقد طبعت الأجيال المختلفة في الإمامة على حب هذه العصبية ، وألفت هذه الحزبية ، بدون تدبر وبدون روية ، ولو أن كلاً من الطائفتين نظرت في بينات

الأخرى نظر المتفاهم لا نظر الساخط المخاصم ، لحصص الحق وظهر الصبح لذي عينين .
وقد فرضنا على أنفسنا أن نعالج هذه المسألة بالنظر في أدلة الطائفتين ، ففهمهما فهماً
صحيحاً ، من حيث لا نحسن إحساسنا المجلوب من المحيط والعادة والتقليد ، بل نتعري من
كل ما يحوطنا من العواطف والعصبيات ، ونقصد الحقيقة من طريقها المجمع على صحته ،
فنلمسها لمساً ، فلعل ذلك يلفت أذهان المسلمين ، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم ، بما يتحرر
ويتقرر عندنا من الحق ، فيكون حداً ينتهي إليه إن شاء الله تعالى .

لذلك قررنا أن يتقدم هو بالسؤال خطأ عما يريد ، فأقدم له الجواب بخطي على
الشروط الصحيحة ، مؤيداً بالعقل أو بالنقل الصحيح عند الفريقين .

وجرت بتوفيق الله عزوجل على هذا مراجعاتنا كلها ، وكنا أردنا يومئذ طبعها لنتمتع
بنتيجة عملنا الخالص لوجه الله عزوجل ، ولكن الأيام الجائرة ، والأقدار الغالبة اجتاحت
العزم على ذلك ؛ «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي» .

وأنا لا أدعي أن هذه الصحف صحف تقتصر على النصوص التي تألفت يومئذ
بيننا ، ولا أن شيئاً من ألفاظ هذه المراجعات خطه غير قلمي ، فإن الحوادث التي أخرجت
طبعها فرقت وضعها أيضاً . كما قلنا - غير أن المحاكمات في المسائل التي جرت بيننا موجودة
بين هاتين الدفتين بخدافيرها مع زيادات اقتضتها الحال ، ودعا إليها النصح والإرشاد ، وربما
جر إليها السياق على نحو لا يخل بما كان بيننا من الاتفاق .

وإني لأرجو اليوم ما رجوته أمس : أن يحدث هذا الكتاب إصلاحاً وخيراً ، فإن وفق
إلى عناية المسلمين به ، وإقبالهم عليه فذلك من فضل ربي ، وذلك أرجأ ما أرجوه من
عملي ، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ﴾^(١) .

وإني لأهدي كتابي هذا إلى أولي الألباب من كل علامة محقق ، وبجائة مدقق لابس
الحياة العلمية فمحص حقائقها ؛ ومن كل حافظ محدث جهبذ حجة في السنن والآثار ،
وكل فيلسوف متضلع في علم الكلام ، وكل شاب حي مثقف حر قد تحلل من القيود
وتملص من الأغلال ، ممن نؤملهم للحياة الجديدة الحرة ، فإن تقبله كل هؤلاء واستشعروا

(١) سورة هود : ٨٨ .

منه فائدة في أنفسهم، فإني على خير وسعادة.

وقد جهدت في إخراج هذا الكتاب، بنحت الجواب فيه على النحو الأكمل من كل الجهات، وقصدت به إلهام المنصفين فكرته وذوقه، بدليل لا يترك خليجة، وبرهان لا يدع وليجة، وعنيت بالسنن الصحيحة والنصوص الصريحة، عناية أغنى بها هذا الكتاب عن مكتبة حافلة مؤثلة بأنفس كتب الكلام والحديث والسير ونحوها، مما يتصل بهذا الموضوع الخطير، بفلسفة معتدلة كل الاعتدال، صادقة كل الصدق، وبأساليب تفرض على من ألمَّ به أن يسيروا خلفه وهم - أعني منصفهم - له تابعون، من أوله إلى الفقرة الأخيرة منه، فإن ظفر كتابي بالقرءاء المنصفين فذلك ما أبتغيه، وأحمد الله عليه.

أما أنا فمستريح - والحمد لله - إلى هذا الكتاب، راضٍ عن حياتي بعده، فإنه عمل كما أعتقد يجب أن ينسيني ما سئمت من تكاليف الحياة الشاقة، وهموم الدهر الفاقرة، وكيد العدو الذي لا أشكوه إلا إلى الله تعالى، وحسبه الله حاكماً، ومحمد ﷺ خصيماً، ودع عنك نهباً صيح في حجراته، إلى ما كان من محن متدفقة كالسيل الآتي من كل جانب، محفوفة بالبلاء، مقرونة بالضيق والاكفهرار، إلا أن حياتي الخالدة بهذا الكتاب حياة رحمة في الدنيا والآخرة، ترضى بها نفسي، ويستريح إليها ضميري، فأرجو من الله سبحانه أن يتقبل عملي، ويتجاوز عن خطأي وزللي، ويجعل أجري عليه نفع المؤمنين وهدايتهم به ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾^١.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

(١) سورة يونس: ٩-١٠.

المراجعة ١

٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١. تحية المناظر

٢. استئذانه في المناظرة

١- سلام على الشريف العلامة الشيخ (١) عبد الحسين شرف الدين الموسوي ورحمة الله وبركاته.

إنني لم أتعرف فيما مضى من أيامي على دخائل الشيعة، ولم أبل أخلاقهم، إذ لم أجالس أحادهم، ولم أستبطن سوادهم. وكنت متلعللاً إلى محاضرة أعلامهم، حران الجوانح إلى تخلل عوامهم، بحثاً عن آرائهم، وتنقيباً عن أهوائهم، فلما قدر الله وقوفي على ساحل عيلمك المحيط، وأرشفنتني ثغر كأسك المعين، شفى الله بسائغ فرائك أوامي، ونضح عطشي، وألية بمدينة علم الله - جذك المصطفى - وبابها - أبيك المرتضى - إنني لم أذق شربة أنقع لغليل، ولا أنجح لعليل، من سلسال منهلك السلسيل، وكنت أسمع أن من رأيكم - معشر الشيعة - مجانية إخوانكم أهل السنة وانقباضكم عنهم، وأنكم تأنسون بالوحشة وتخلدون إلى العزلة، وأنكم (٢) ..

لكنني رأيت منك شخصاً رقيق المنافثة، دقيق المباحثة، شهى المجاملة، قوي المجادلة، لطيف المفاكهة، شريف المعاركة، مشكور الملابس، مبرور المنافسة، فإذا الشيعي ربحانة الجليس، ومنية كل أديب.

٢ - وإنني لواقف على ساحل بحرك اللجي، استأذنك في خوض عبابه والغوص على درره، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحوك في صدري منذ أمد بعيد، وإلا فالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عثرة، أو متتبع عورة، ولا بمفند أو مندد، وإنما أنا نشاد ضالة، وبحاث عن حقيقة، فإن تبين الحق، فإن الحق أحق أن يتبع وإلا فإننا كما قال القائل:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

(١) انظر هذه الهوامش في ملحق الكتاب تحت عنوان (الهوامش التحقيقية لكتاب المراجعات) بقلم العلامة الشيخ حسين الراضي، وهي من ص ٢٨٧ إلى ٤١٨ من هذا الكتاب.

وسأقتصر - إن أذنت - في مراجعتي إياك على مبحثين ، أحدهما في إمامة المذهب أصولاً وفروعاً ، وثانيهما في الإمامة العامة ، وهي الخلافة عن رسول الله ﷺ . وسيكون توقيعي في أسفل مراجعاتي كلها (س) فيكن توقيعك (ش)^١ وأسلفك رجاء العفو عن كل هفو والسلام.

س

المراجعة ٢

٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . رد التحية

٢ . الإذن في المناظرة

١ - السلام على مولانا شيخ الإسلام (٣) ورحمة الله وبركاته .
خولتني بكتابك العطوف من النعم ، وأوليتني به من المنن ما يعجز عن أداء حقه لسان الشكر ، ولا يستوفي بعض فرائضه عمر الدهر .
رमितني بآمالك ونزعت إليّ برجائك ، وأنت قبلة الراجي ، وعصمة اللاجي ، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمال ، وحططت بفنائك ما شددت من الرجال ، منتجعاً علمك ، مستمطراً فضلك ، وسأنقلب عنك حي الرجاء قوي الأمل ، إلا أن يشاء الله تعالى .

٢ - استأذنت في الكلام - ولك الأمر والنهي - فسل عما أردت ، وقل ما شئت ، ولك الفضل ، وبقولك الفصل ، وحكمك العدل ، وعليك السلام .

ش

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، لم يكتف بالاستئذان حتى بين فيه الموضوع الذي ستدور عليه رحى البحث بيننا ، وهذا من كماله وآدابه في المناظرة ، ولا يخفى لطف الرمزين (س) و(ش) ومناسبتهما ، فإن السين إشارة إلى اسمه سليم وكونه سنياً ، والشين إشارة إلى لقيبي (شرف الدين) وكونه شيعياً .

ملاحظة: البوامش المذكورة في نهاية كل صفحة هي من المصنف رحمته ، أما ما جاء كملحق في آخر الكتاب فمن المحقق .

المبحث الأول: في إمامة المذهب

المراجعة ٣

٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١. لم لا تأخذ الشيعة بمذاهب الجمهور

٢. الحاجة إلى الاجتماع

٣. لا يلم الشعث إلا بمذاهب الجمهور

١. إنما أسألك الآن عن السبب في عدم أخذكم بمذاهب الجمهور من المسلمين، أعني مذهب الأشعري في أصول الدين، والمذاهب الأربعة في الفروع، وقد دان بها السلف الصالح، ورأوها أعدل المذاهب وأفضلها، واتفقوا على التبعد بها في كل عصر ومصر، واجمعوا على عدالة أربابها واجتهادهم، وأمانتهم وورعهم وزهدهم، ونزاهة أعراضهم وعفة نفوسهم، وحسن سيرتهم وعلو قدرهم علماً وعملاً.

٢. وما أشد حاجتنا اليوم إلى وصل حبل الشمل، ونظم عقد الاجتماع بأخذكم بتلك المذاهب تبعاً للرأي العام الإسلامي، وقد عقد أعداء الدين ضمايرهم على الغدر بنا وسلوكوا في نكايتنا كل طريق، أيقظوا لذلك آراءهم، وأسهروا قلوبهم، والمسلمون غافلون، كأنهم في غمرة ساهون، وقد أعانواهم على أنفسهم، حيث صدعوا شعبهم، ومزقوا بالتحزب والتعصب شملهم، فذهبوا أبادي، وتفرقوا قدداً، يضل بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض، وبهذا ونحوه افترستنا الذئاب، وطمعت بنا الكلاب.

٣. فهل تجدون غير الذي قلناه - هداكم الله - إلى لم هذا الشعث سبيلاً؟ فقل تسمع ومر تطع، ولك السلام.

س

المراجعة ٤

٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١. الأدلة الشرعية تفرض مذهب أهل البيت عليهم السلام

٢. لا دليل على وجوب الأخذ بمذاهب الجمهور

٣. أهل القرون الثلاثة لا يعرفونها

٤. الاجتهاد ممكن

٥. يُلَمّ الشعث باحترام مذهب أهل البيت عليهم السلام

١ - إن تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصب ، ولا للريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علما وعملا .

لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده ، وأصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنة والكتاب ، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب ، نزولاً على حكم الأدلة والبراهين ، وتعبداً بسنة سيد النبيين والمرسلين ، صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين .

ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد ، أو تمكنا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لقصصنا أثر الجمهور ، وقفونا إثرهم ، تأكيداً لعقد الولاء ، وتوثيقاً لعرى الإخاء ، لكنها الأدلة القطعية تقطع على المؤمن وجهته ، وتحول بينه وبين ما يروم .

٢ - على أنه لا دليل للجمهور على رجحان شيء من مذاهبهم ، فضلاً عن وجوبها ، وقد نظرنا في أدلة المسلمين نظر الباحث المحقق بكل دقة واستقصاء ، فلم نجد فيها ما يمكن القول بدلالته على ذلك ، إلا ما ذكرتموه من اجتهاد أربابها وأمانتهم وعدالتهم وجلالتهم . لكنكم تعلمون أن الاجتهاد والأمانة والعدالة والجلالة غير محصورة بهم ، فكيف يمكن - والحال هذه - أن تكون مذاهبهم واجبة على سبيل التعيين ؟

وما أظن أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم - في علم أو عمل - على أئمتنا ، وهم أئمة العترة الطاهرة ، وسفن نجاة الأمة ، وباب حطتها ، وأمانها من الاختلاف في الدين ، وأعلام هدايتها ، وثقل رسول الله ﷺ ، وبقيته في أمته ، وقد قال ﷺ : « فلا تقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » (٤) لكنها السياسة ، وما أدراك ما اقتضت في صدر الإسلام .

والعجب من قولكم أن السلف الصالح دانوا بتلك المذاهب ، ورأوها أعدل المذاهب وأفضلها ، واتفقوا على التعبد بها في كل عصر ومصر ، كأنكم لا تعلمون بأن الخلف والسلف الصالحين من شيعة آل محمد - وهم نصف المسلمين في المعنى - إنما دانوا بمذهب الأئمة من ثقل رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا عنه حولا ، وأنهم على ذلك من عهد علي

وفاطمة إلى الآن ، حيث لم يكن الأشعري ولا واحد من أئمة المذاهب الأربعة ولا آباؤهم ، كما لا يخفى .

٣ - على أن أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً ، وأين كانت تلك المذاهب عن القرون الثلاثة ؟ - وهي خير القرون - وقد ولد الأشعري سنة سبعين ومائتين ، ومات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة (٥) وابن حنبل ولد سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين (٦) والشافعي ولد سنة خمسين ومائة ، وتوفي سنة مائتين وأربع (٧) وولد مالك سنة خمس وتسعين^١ ومات سنة تسع وسبعين ومائة (٨) وولد أبو حنيفة سنة ثمانين ، وتوفي سنة خمسين ومائة (٩) ، والشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام - وأهل البيت أدري بالذي فيه - وغير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين ، فما الذي أوجب على المسلمين كافة بعد القرون الثلاثة - تلك المذاهب دون غيرها من المذاهب التي كان معمولاً بها من ذي قبل ؟ وما الذي عدل بهم عن أعدل كتاب الله وسفرته وثقل رسول الله ﷺ وعييته ، وسفينة نجاة الأمة وقادتها وأمانها وباب حطتها؟! .

٤ - وما الذي ارتج باب الاجتهاد في وجوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحاً على مصراعيه؟ لولا الخلود إلى العجز ، والاطمئنان إلى الكسل ، والرضا بالحرمان ، والقناعة بالجهل ، ومن ذا الذي يرضى لنفسه أن يكون - من حيث يشعر أو لا يشعر - قائلاً بأن الله عز وجل لم يبعث أفضل أنبيائه ورسله بأفضل أديانه وشرائعه؟ ولم ينزل عليه أفضل كتبه وصحفه بأفضل حكمه ونواميسه ، ولم يكمل له الدين ، ولم يتم عليه النعمة ، ولم يعلمه علم ما كان وعلم ما بقي ، إلا لينتهي الأمر في ذلك كله إلى أئمة تلك المذاهب فيحتكروه لأنفسهم ، ويمنعوا من الوصول إلى شيء منه عن طريق غيرهم ، حتى كأن الدين الإسلامي بكتابه وسنته ، وسائر بيناته وأدلته ، من أملاكهم الخاصة ، وأنهم لم يبيحوا التصرف به على غير رأيهم ، فهل كانوا ورثة الأنبياء ، أم ختم الله بهم الأوصياء والأئمة ، وعلمهم علم ما كان وعلم ما بقي ، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من

(١) ذكر ابن خلكان في أحوال مالك من وفيات الأعيان : أن مالكا بقي جنيناً في بطن أمه ثلاث سنوات ، ونص على ذلك ابن قتيبة حيث ذكر مالكا في أصحاب الرأي من كتابه المعارف : ص ١٧٠ ، وحيث أورد جماعة زعم أنهم قد حملت بهم أمهاتهم أكثر من وقت الحمل ، صفحة ١٩٨ من المعارف أيضاً .

العالمين؟ كلا بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورعاته ، وسدنته ودعائه ، وحاشا دعاة العلم أن يوصدوا بابه ، أو يصدوا عن سبيله ، وما كانوا ليعتقلوا العقول والأفهام ولا ليسملوا أنظار الأنام ، ولا ليجعلوا على القلوب أكنته ، وعلى الأسماع وقرا ، وعلى الأبصار غشاوة ، وعلى الأفواه كمامات ، وفي الأيدي والأعناق أغلالا وفي الأرجل قيوداً ، لا ينسب ذلك إليهم إلا من افترى عليهم ، وتلك أقوالهم تشهد بما نقول.

٥ - هلم بنا إلى المهمة التي نبهتنا إليها من لمّ شعث المسلمين ، والذي أراه أن ذلك ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم ، ولا على عدول السنة عن مذهبهم ، وتكليف الشيعة بذلك دون غيرهم ترجيح بلا مرجح ، بل ترجيح للمرجوح ، بل تكليف بغير المقدور ، كما يعلم مما قدمناه.

نعم يلم الشعث وينتظم عقد الاجتماع بتحريك مذهب أهل البيت عليهم السلام ، واعتباركم إياه كأحد مذاهبكم ، حتى يكون نظر كل من الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية إلى شيعة آل محمد عليه السلام كنظر بعضهم إلى بعض ، وبهذا يجتمع شمل المسلمين وينتظم عقد اجتماعهم.

والاختلاف بين مذاهب أهل السنة لا يقل عن الاختلاف بينها وبين مذهب الشيعة (١٠) تشهد بذلك الألوف المؤلفة في فروع الطائفتين وأصولهما ، فلماذا ندد المنددون منكم بالشيعة في مخالفتهم لأهل السنة ، ولم ينددوا بأهل السنة في مخالفتهم للشيعة (١١) ؟ بل في مخالفة بعضهم لبعض ، فإذا جاز أن تكون المذاهب أربعة ، فلماذا لا يجوز أن تكون خمسة ؟ وكيف يمكن أن تكون الأربعة موافقة لاجتماع المسلمين ، فإذا زادت مذهباً خامساً تمزق الاجتماع ، وتفرق المسلمون طرائق قديداً ؟ وليتكم إذا دعوتونا إلى الوحدة المذهبية دعوتكم أهل المذاهب الأربعة إليها ، فإن ذلك أهون عليكم وعليهم (١٢) ولم خصصتمونا بهذه الدعوة ؟ فهل ترون اتباع أهل البيت عليهم السلام سبياً في قطع حب الشمل ونشر عقد الاجتماع ، واتباع غيرهم موجباً لاجتماع القلوب واتحاد العزائم ، وإن اختلفت المذاهب والآراء ، وتعددت المشارب والأهواء ؟ ما هكذا الظن بكم ، ولا المعروف من مودتكم في القربى والسلام.

ش

المراجعة ٥

٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . اعترافه بما قلنا

٢ . التماسه الدليل على سبيل التفصيل

١- أخذت كتابك الكريم مبسوط العبارة ، مشبع الفصول ، مقبول الأطناب ، حسن التحرير ، شديد المرء ، قوي اللداد ، لم يدخر وسعاً في بيان عدم وجوب اتباع شيء من مذاهب الجمهور في الأصول والفروع ، ولم يأل جهداً في إثبات بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً . فكتابك قوي الحجة في المسألتين ، صحيح الاستدلال على كل منهما ، ونحن لا ننكر عليك الإمعان في البحث عنهما ، واستجلاء غوامضهما ، وإن لم يسبق منا التعرض لهما صريحاً . والرأي فيهما ما رأيت ..

٢ - وإنما سألناك عن السبب في إعراضكم عن تلك المذاهب التي أخذ بها جمهور المسلمين ، فأجبت بأن السبب في ذلك إنما هو الأدلة الشرعية وكان عليك بيانها تفصيلاً ، فهل لك أن تصدع الآن بتفصيلها من الكتاب أو السنة أدلة قطعية تقطع . كما ذكرت . على المؤمن وجهته ، وتحول بينه وبين ما يروم ، ولك الشكر والسلام .

س

المراجعة ٦

١٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . الإلماح إلى الأدلة على وجود اتباع العترة عليهم السلام

٢ . أمير المؤمنين يدعو إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام

٣ . كلمة للإمام زين العابدين عليه السلام في ذلك

إنكم (بحمد الله) ممن تغنيه الكتابة عن التصريح ، ولا يحتاج مع الإشارة إلى توضيح ، وحاشا لله أن تخالطكم في أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام شبهة ، أو تلابسكم في تقديمهم على من سواهم غمة ، وقد آذن أمرهم بالجللاء ، فأربوا على الأكفاء ، وتميزوا عن النظراء ، حملوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علوم النبيين ، وعقلوا عنه أحكام الدنيا والدين .

١- ولذا قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفناً للنجاة إذا طغت لجج النفاق ، وأماناً للامة من الاختلاف إذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب حطة يغفر لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها (١٣).

٢- وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « فأين تذهبون وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منصوبة فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش. أيها الناس خذوها^١ من خاتم النبيين صلوات الله عليهم : إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر^٢ وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان... الخ» (١٤) وقال عليه السلام : «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتظلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (١٥).

وذكرهم عليه السلام مرة فقال^٣ : «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل» (١٦).

وقال عليه السلام من خطبة أخرى^٤ : «عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمره لا تنال» (١٧).
وقال عليه السلام : «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من

-
- (١) كما في صفحة ١٥٢ من الجزء الأول من النهج من الخطبة ٨٣.
(٢) أي خذوا هذه القضية عنه عليه السلام وهي (إنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت) لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور، كذا قال الشيخ محمد عبده وغيره.
(٣) عمل أمير المؤمنين عليه السلام بالثقل الأكبر وهو القرآن، وترك الثقل الأصغر وهو ولداه، ويقال عترته قدوة للناس، كذا قال الشيخ محمد عبده وغيره من شارحي النهج.
(٤) كما في صفحة ١٨٩ من الجزء الأول من النهج من الخطبة ٩٣.
(٥) كما في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثاني من النهج من الخطبة ٢٣٤.
(٦) كما في صفحة ١٨٥ من الجزء الأول من النهج من الخطبة ٩٠.
(٧) كما في صفحة ٥٨ من الجزء الثاني من النهج من الخطبة ١٥٠.

أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً. إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة عليهم السلام -: فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله» (١٨) الخطبة.

وقال عليه السلام من خطبة له^١: «واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق (١٩).

إلى كثير من النصوص الماثورة عنه في هذا الموضوع نحو قوله عليه السلام: «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم العلياء، وبنا انفجرت عن السرار^٢ وقر سمع لم يفقه الواعية» (٢٠) الخطبة^٣.

وقوله^٤: «أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر» (٢١) الخطبة.

وقوله^٥: «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة؛ ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة» (٢٢).
وقوله^٦: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن

(١) كما في صفحة ٤٣ من الجزء الثاني من النهج من الخطبة ١٤٣ [طبعة الاستقامة].

(٢) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه: (السرار)- كسحاب وكتاب- آخر ليلة من الشهر يجتفي فيها القمر. و(انفجرت)- دخلتم في الفجر، والمراد كنتم في ظلام حال، وهو ظلام الشرك والضلال، فصرتم إلى ضياء ساطع بهدایتنا وإرشادنا. والضمير لمحمد عليه السلام والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته.

(٣) هي الخطبة ٣ صفحة ٣٣ من الجزء الأول من النهج [طبعة الاستقامة بمصر].

(٤) كما في الصفحة ٢٠١ من الجزء الأول من النهج من الخطبة ١٠١ [ط الاستقامة بمصر].

(٥) في آخر الخطبة ١٠٥ آخر صفحة ٢١٤ من الجزء الأول من النهج. وقال ابن عباس «نحن أهل البيت شجرة النبوة ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعادن العلم» نقل هذه الكلمة عنه جماعة من إثبات السنة، وهي موجودة في آخر باب خصوصياتهم، صفحة ١٤٢ من الصواعق المحرقة لابن حجر [ط الميمنية بمصر ١٣١٢ هـ].

(٦) من كلام له ١٤٠ صفحة ٣٦ من الجزء الثاني من النهج [ط الاستقامة].

رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم» إلى أن قال عمن خالفهم: «آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً، وتركوا صافياً، وشربوا آجناً» (٢٣) إلى آخر كلامه.

وقوله عليه السلام^١: «فإنه من مات منكم على فراشه، وهو على معرفة حق ربه، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه» (٢٤). وقوله عليه السلام^٢: «نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله عز وجل، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا»^٣ (٢٥). وخطب الإمام المجتبى عليه السلام أبو محمد الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة فقال: «اتقوا الله فينا فإننا أمرؤكم» (٢٦) الخطبة^٣.

٣- وكان الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^٤ يدعو الله عز وجل دعاء طويلاً، يشتمل على طلب الحقوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية، ويتضمن وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقة لأئمة الدين، والشجرة النبوية، ثم يقول: «وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بآرائهم، واتهموا مآثور الخبر فينا» إلى أن قال: «فإلى من يفزع خلف هذه الأمة، وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَضَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^٥ فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة، وتأويل الحكم؟ إلا أعدل الكتاب وأبناء أئمة الهدى، ومصايح

(١) في آخر الخطبة ١٨٥ صفحة ١٥٦ من الجزء الثاني من النهج [ط الاستقامة].

(٢) كفل هذه الكلمة عنه جماعة كثيرون أحدهم ابن حجر في آخر باب خصوصياتهم من آخر الصواعق، صفحة ١٤٢ وقد أرجف فأجحف.

(٣) راجعها في أواخر باب وصية النبي ﷺ بهم من الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٣٧. [ط الميمنية بمصر

١٣١٢ هـ وهذه النسخة هي التي ينقل عنها المؤلف (ره) .I.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٥.

الدجى ، الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم؟ إلا من فروع الشجرة المباركة ، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ، وبرأهم من الآفات ، وافترض مودتهم في الكتاب»؟ (٢٧).

هذا كلامه ^١ عليه السلام بعين لفظه. فأمعن النظر فيه ، وفيما تلوناه عليك من كلام أمير المؤمنين عليه السلام تجدهما يمثلان مذهب الشيعة في هذا الموضوع بأجلى مظاهره. واعتبر هذه الجملة من كلامهما ، نمودجا لأقوال سائر الأئمة من أهل البيت عليه السلام ، فإنهم مجمعون على ذلك ، وصاحنا عنهم في هذا متواترة. والسلام.

ش

المراجعة ٧

١٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . طلب البينة من كلام الله ورسوله ﷺ

٢ . الاحتجاج بكلام أئمة أهل البيت عليه السلام دوري

- ١ - هاتها بينة من كلام الله ورسوله ، تشهد لكم بوجوب اتباع الأئمة من أهل البيت دون غيرهم ، ودعنا في هذا المقام من كلام غير الله ورسوله.
- ٢ - فإن كلام أئمتكم لا يصلح لأن يكون حجة على خصومهم والاحتجاج به في هذه المسألة دوري كما تعلمون . والسلام .

س

المراجعة ٨

١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . الغفلة عما أشرنا إليه

٢ . الغلط في لزوم الدور

٣ . حديث الثقلين

٤ . تواتره

(١) فراجع في صفحة ٩٠ من الصواعق المحرقة لابن حجر في تفسير الآية الخامسة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب ١١.

٥ . ضلال من لم يستمسك بالعترة

٦ . تمثيلهم بسفينة نوح وباب حطة وهم الأمان من الاختلاف في الدين

٧ . ما المراد بأهل البيت هنا

٨ . الوجه في تشبيههم بسفينة نوح وباب حطة.

١ - نحن ما أهملنا البيئة من كلام النبي ﷺ . بل أشرنا إليها في أول مراجعتنا صريحة بوجوب اتباع الأئمة من أهل البيت ﷺ دون غيرهم . وذلك حيث قلنا إنه ﷺ قرنهم بحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفن النجاة ، وأمان الأمة ، وباب حطة ، إشارة إلى المأثور في هذه المضامين من السنن الصحيحة ، والنصوص الصريحة . وقلنا إنكم ممن تغنيه الكناية عن التصريح ، ولا يحتاج مع الإشارة إلى توضيح .

٢ - فكلام أئمتنا إذن يصلح - بحكم ما أشرنا إليه - لأن يكون حجة على خصومهم ، ولا يكون الاحتجاج به في هذه المسألة دورياً كما تعلمون .

٣ - وإليك بيان ما أشرنا إليه من كلام النبي ﷺ إذ أهاب في الجاهلين ، وصرخ في الغافلين ، فنأدى : « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي »^(١) (٢٨) .

وقال ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^(٢) (٢٩) .

وقال ﷺ : « إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »^(٣) (٣٠) .

(١) أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر . ونقله عنهما المتقي الهندي في أول باب الاعتصام بالكتاب والسنة من كنز العمال ص ٤٤ من جزئه الأول .

(٢) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم وهو الحديث ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال في ص ٤٤ من جزئه الأول .

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين أحدهما في أول صفحة ١٨٢ ، والثاني في آخر صفحة ١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده . وأخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت أيضاً وهو الحديث ٨٧٣ من أحاديث الكنز ص ٤٤ من جزئه الأول .

وقال عليه السلام : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^١ (٣١).

وقال عليه السلام : «إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عزوجل وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٢ (٣٢).

ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع ، ونزل غدير خم ، أمر بدوحات فقممن فقال : « كأنني دعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله تعالى وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ثم قال : «إن الله عزوجل مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي فقال : «من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» (٣٣) الحديث بطوله^٣.

وعن عبد الله بن حنطب قال : «خطبنا رسول الله عليه السلام بالجحفة فقال : أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال فإني سائلكم عن اثنين : القرآن وعترتي»^٤ (٣٤).

٤ - والصالح الحاكم بوجوب التمسك بالثقلين متواترة ، وطرقها عن بضع

(١) أخرجه الحاكم في ص ١٤٨ من الجزء الثالث من المستدرک ثم قال : «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأخرجه الذهبي في تلخيص المستدرک معترفاً بصحته على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري من طريقين ، أحدهما في آخر ص ١٧ ، والثاني في آخر ص ٢٦ من الجزء الثالث من مسنده ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبه وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد وهو الحديث ٩٤٥ من أحاديث الكنز في ص ٤٧ من جزئه الأول.

(٣) أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم مرفوعاً في صفحة ١٠٩ من الجزء الثالث من المستدرک ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله ، وأخرجه عن طريق آخر عن زيد بن أرقم في ص ٥٣٣ من الجزء الثالث من المستدرک ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قلت : وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته.

(٤) أخرجه الطبراني كما في أربعين الأربعين للبهاني ، وفي إحياء الميت للسيوطي ، وأنت تعلم أن خطبته عليه السلام يومئذ لم تكن مقصورة على هذه الكلمة ، فإنه لا يقال عمن اقتصر عليها إنه خطبنا ، لكن السياسة كم اعتقلت ألسن المحدثين وحسبت أقلام الكاتبين ، ومع ذلك فإن هذه القطرة من ذلك البحر ، والشدرة من ذلك البذر كافية وافية والحمد لله.

وعشرين صحابيا متضافرة. وقد صدع بها رسول الله ﷺ في مواقف له شتى، تارة يوم غدِير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفة في حجة الوداع، وتارة بعد انصرافه من الطائف، ومرة على منبره في المدينة، وأخرى في حجرته المباركة في مرضه، والحجرة غاصة بأصحابه، إذ قال: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا أني مخلف فيكم كتاب الله [ربي خ ل] عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال: «هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض» (٣٥) الحديث^١.

وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر - إذ أورد حديث الثقلين -: «ثم اعلم أن لحديث التمسك بهما طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا» (قال): ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قال ذلك لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف كما مر. (قال): ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعتر الطاهرة» (٣٦) إلى آخر كلامه^٢.

وحسب أئمة العترة الطاهرة عليه السلام أن يكونوا عند الله ورسوله بمنزلة الكتاب، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكفى بذلك حجة تأخذ بالأعناق إلى التعبد بمذهبهم، فإن المسلم لا يرتضي بكتاب الله بدلا، فكيف يبتغي عن أعداله حولا.

٥ - على أن المفهوم من قوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي» إنما هو ضلال من لم يستمسك بهما معاً كما لا يخفى. ويؤيد ذلك قوله ﷺ في حديث الثقلين عند الطبراني: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (٣٧).

قال ابن حجر: (وفي قوله ﷺ «فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم

(١) راجعه في أواخر الفصل ٢ من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر بعد الأربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة في ذلك الفصل ص ٧٥.

(٢) فراجع في تفسير الآية الرابعة: ﴿وقفوههم إنهم مسؤولون﴾ من آياتهم التي أوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه في آخر صفحة ٨٩.

فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العالية والوظائف الدينية كان مقدماً على غيره) إلى آخر كلامه^١ (٣٨).

٦ - ومما يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت عليهم السلام، ويضطر المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم، قول رسول الله ﷺ : «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^٢ (٣٩). وقوله ﷺ : «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له»^٣ (٤٠). وقوله ﷺ : «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف (في الدين) فإذا خالفتها قبيلة من العرب (يعني في أحكام الله عز وجل) اختلفوا فصاروا حزب إبليس»^٤ (٤١).

هذا غاية ما في الوسع من إلزام الأمة باتباعهم، وردعها عن مخالفتهم. وما أظن في لغات البشر كلها أدل من هذا الحديث على ذلك.

٧ - والمراد بأهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم، وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق، لأن هذه المنزلة ليست إلا للحجج الله والقوامين بأمره خاصة، بحكم العقل والنقل. وقد اعترف بهذا جماعة من أعلام الجمهور، ففي الصواعق المحرقة لابن حجر، وقال بعضهم: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان، علماؤهم

(١) فراجع في باب وصية النبي ﷺ بهم ص ١٣٦ من الصواعق، ثم سله لماذا قدم الأشعري عليهم في أصول الدين والفقهاء الأربعة في الفروع، وكيف قدم في الحديث عليهم عمران بن حطان وأمثلة من الخوارج، وقدم في التفسير عليهم مقاتل بن سليمان المرجئ المجسم، وقدم في علم الأخلاق والسلوك وأدواء النفس وعلاجها معروفاً وأضرابه، وكيف أخر في الخلافة العامة والنبابة عن النبي ﷺ أخاه ووليه الذي لا يؤدي عنه سواه، ثم قدم فيها أبناء الوزغ على أبناء رسول الله ﷺ، ومن أعرض عن العترة الطاهرة في كل ما ذكرناه من المراتب العالية والوظائف الدينية واقتفى فيها مخالفيهم فما عسى أن يصنع بصحاح الثقلين وأمثالها، وكيف يتسنى له القول بأنه متمسك بالعترة وراكب سفينتها وداخل باب حطتها؟.

(٢) أخرجه الحاكم بالإسناد إلى أبي ذر ص ١٥١ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرک.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد وهذا هو الحديث ١٨ من الأربعين، الخامسة والعشرين من الأربعين أربعين للنبهاني ص ٢١٦ من كتابه الأربعين، أربعين حديثاً.

(٤) أخرجه الحاكم في ص ١٤٩ من الجزء الثالث من المستدرک عن ابن عباس، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم ، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون) قال : (وذلك عند نزول المهدي لما يأتي في أحاديثه أن عيسى يصلي خلفه ويقتل الدجال في زمنه ، وبعد ذلك تتابع الآيات) (٤٢) إلى آخر كلامه^١.

وذكر في مقام آخر أنه قيل لرسول الله ﷺ : «ما بقاء الناس بعدهم ، قال : بقاء الحمار إذا كسر صلبه»^٢ (٤٣).

٨ - وأنت تعلم أن المراد بتشبيههم ﷺ بسفينة نوح ﷺ ، أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى (يوم الطوفان) إلى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم والعياذ بالله.

والوجه في تشبيههم ﷺ بباب حطة هو أن الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سبباً للمغفرة. وقد جعل انقياد هذه الأمة لأهل بيت نبينا والاتباع لأئمتهم مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سبباً للمغفرة.

هذا وجه الشبه ، وقد حاوله ابن حجر إذ قال^٣ - بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها - : «وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاز الطغيان»...

إلى أن قال^٤ : «وباب حطة - يعني وجه تشبيههم بباب حطة - أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً

(١) راجعه في تفسير الآية ٧ من الباب ١١ ص ٩١ من الصواعق [ط الميمنية بمصر].

(٢) فراجع آخر باب إشارته ﷺ إلى ما حصل لهم من الشدة بعده ، ص ١٤٣ من أواخر الصواعق [ط الميمنية بمصر] ونحن نسأل ابن حجر فنقول له : إذا كانت هذه منزلة علماء أهل البيت فأنى تصرفون.

(٣) في تفسير الآية ٧ من الباب ١١ ص ٩١ من الصواعق [ط الميمنية بمصر].

(٤) راجع كلامه هذا ثم قل لي : لماذا لم يأخذ بهدي أئمتهم في شيء من فروع الدين وعقائده ، ولا في شيء من أصول الفقه وقواعده ، ولا في شيء من علوم السنة والكتاب ، ولا في شيء من الأخلاق والسلوك والآداب ، ولماذا تخلف عنهم فأغرق نفسه في بحر كفر النعم ، وأهلكها في مفاز الطغيان؟ سامحه الله بكل ما أرفج بنا ، وتحامل بالبهتان علينا.

للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها» (٤٤) اهـ.

والصالح في وجوب اتباعهم متواترة، ولا سيما من طريق العترة الطاهرة (٤٥)
ولولا خوف السأم، لأطلقنا في استقصائها عنان القلم، لكن الذي ذكرناه كاف لما أردناه...
والسلام.

ش

المراجعة ٩

١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

طلب المزيد من النصوص في هذه المسألة

أطلق عنان القلم، ولا تخف من سأم، فإن أذني لك صاغية، وصدري رحب، وأنا
في أخذ العلم عنك على جمام من نفسي، وارتياح من طبعي، وقد ورد علي من أدلتك
وبيناتك ما استأنف نشاطي، وأطلق عن نفسي عقال السأم، فزدني من جوامع كلمك،
ونوابغ حكمك، فإنني ألتمس في كلامك ضوال الحكمة، وإنه لأندى على فؤادي من
زالل الماء، فزدني منه الله أبوك زدني، والسلام.

س

المراجعة ١٠

١٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

لمعة من النصوص كافية

لئن تلقيت مراجعتي بأنسك، وأقبلت عليها وأنت على جمام من نفسك، فطالما
عقدت آمالي بالفوز، وذيلت مسعاي بالنجح، وإن من كان طاهر النية، طيب الطوية،
متواضع النفس، مطرد الخلق، رزين الحصة، متوجاً بالعلم، محتبياً بنجاد الحلم، لحقيق
بأن يتمثل الحق في كلامه وقلمه، ويتجلى الإنصاف والصدق في يده وفمه.
وما أولاني بشكرك، وامتنال أمرك، إذ قلت زدني، وهل فوق هذا من لطف
وعطف وتواضع، فليبك لييك لأنعمن والله عينيك فأقول:

أخرج الطبراني في الكبير، والرافعي في مسنده بالإسناد إلى ابن عباس قال: قال
رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي،
فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا
من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم

صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي»^(٤٥).

وأخرج مطير، والبارودي، وابن جرير، وابن شاهين، وابن مندة، من طريق إسحاق، عن زياد بن مطرف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي، وهي جنة الخلد، فليتول علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة»^(٤٦).

ومثله حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة»^(٤٧).

وكذلك حديث عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى ﷺ: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل»^(٤٨).

(١) هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث ٣٨١٩ من أحاديث الكنز في آخر ص ٢١٧ من جزئه ٦. وقد أورده في منتخب الكنز أيضاً فراجع من المنتخب ما هو في أوائل هامش ص ٩٤ من الجزء ٥ من مسند أحمد غير أنه قال: (ورزقوا فهمي) ولم يقل (وعلمي) ولعله غلط من الناسخ، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته ونقله عنه علامة المعتزلة في ص ٤٥٠ من المجلد الثاني من شرح النهج طبع مصر، ونقل نحوه في ص ٤٤٩ عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل في كل من مسنده وكتاب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) وهذا الحديث هو الحديث ٢٥٧٨ من أحاديث الكنز في ص ١٥٥ من جزئه ٦. وأورده في المنتخب أيضاً، فراجع من المنتخب ما هو في السطر الأخير من هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من مسند أحمد، وأورده ابن حجر العسقلاني مختصراً في ترجمة زياد بن مطرف في القسم الأول من إصابته، ثم قال: قلت في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واهي. أقول: هذا غريب من مثل العسقلاني فإن يحيى بن يعلى المحاربي ثقة بالاتفاق، وقد أخرج له البخاري في عمرة الحديث من صحيحه. وأخرج له مسلم في الحدود من صحيحه أيضاً، سمع أباه عند البخاري وسمع عند مسلم غيلان بن جامع. وأرسل الذهبي في الميزان توثيقه إرسال المسلمات. وعده الإمام القيسراني وغيره ممن احتج بهم الشيخان وغيرهما.

(٣) أخرجه الحاكم في آخر ص ١٢٨ من الجزء ٣ من صحيحه المستدرک، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في فضائل الصحابة وهو الحديث ٢٥٧٧ من أحاديث الكنز في ص ١٥٥ من جزئه ٦، وأورده في منتخب الكنز أيضاً، فراجع هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من المسند.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، وابن عساكر في تاريخه، وهو الحديث ٢٥٧١ من أحاديث الكنز، في آخر ص ١٥٤ من جزئه ٦.

وعن عمار أيضا مرفوعا: «اللهم من آمن بي وصدقني، فليتول علي بن أبي طالب، فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى»^(٥٠).

وخطب عليه السلام مرة فقال: «يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل»^(٥١).

وقال عليه السلام: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون»^(٥٢).

وقال عليه السلام: «فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٥٣).

وقال عليه السلام: «واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين»^(٥٤).

وقال عليه السلام: «الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا، دخل الجنة بشفاعتنا؛ والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»^(٥٥).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن محمد بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده عن عمار، وهو الحديث ٢٥٧٦ من أحاديث الكنز، ص ١٥٥ من جزئه ٦، وأورده في المنتخب أيضا.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في حديث طويل، ونقله ابن حجر في آخر المقصد ٤ من المقاصد التي ذكرها في تفسير آية المودة في القربى ص ١٠٥ من صواعقه، فأمعن النظر فيه وفي المقصد الأسمى من مراميه، ولا تغفل عن قوله: فلا تذهبن بكم الأباطيل.

(٣) أخرجه الملا في سيرته، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ ص ٩٠ من الصواعق المحرقة لابن حجر.

(٤) أخرجه الطبراني في حديث الثقلين ونقله عنه ابن حجر، في تفسيره الآية الرابعة ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ من الآيات التي أوردها في الباب ١١ من صواعقه ص ٨٩ [ط الميمنية].

(٥) أخرجه جماعة من أصحاب السنن بالإسناد إلى أبي ذر مرفوعاً، ونقله الإمام الصبان في فضل أهل البيت من كتابه إسعاف الراغبين، والشيخ يوسف النبهاني في ص ٣١ من (الشرف المؤبد) وغير واحد من الثقات، وهو نص في وجوب رئاستهم وأن الاهتداء إلى الحق لا يكون إلا عن طريقهم.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، ونقله السيوطي في إحياء الميت، والنبهاني في أربعين أربعينة، وابن حجر في باب الحث على حبهم من صواعقه، وغير واحد من الأعلام، فأنعّم النظر في قوله (لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا)، ثم أخبرني ما هو حقهم الذي جعله الله شرطاً في صحة الأعمال. أليس هو السمع والطاعة

←

وقال عليه السلام : « معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب »^(٥٦).

وقال عليه السلام : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت »^(٥٧).

وقال عليه السلام : « فلو أن رجلا صفن - صف قدميه - بين الركن والمقام ، فصلّى وصام ، وهو مبغض لآل محمد دخل النار »^(٥٨).

وقال عليه السلام : « من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ألا ومن مات على حب آل

→

لهم والوصول إلى الله عز وجل عن طريقهم القويم وصراطهم المستقيم ، وأي حق غير النبوة والخلافة يكون له هذا الأثر العظيم ؟ لكننا منينا بقوم لا يتأملون فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) أورده القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان أن من توقيره وبره عليه السلام ، برآله وذريته ، من كتاب الشفاء في أول ص ٤٠ من قسمه الثاني طبع الآستانة سنة ١٣٢٨ ، وأنت تعلم أن ليس المراد من معرفتهم هنا مجرد معرفة أسمائهم وأشخاصهم وكونهم أرحام رسول الله عليه السلام ؛ فإن أبا جهل وأبا لهب ليعرفان ذلك كله ، وإنما المراد معرفة أنهم أولوا الأمر بعد رسول الله عليه السلام على حد قوله عليه السلام : « من مات ولم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية » والمراد من جهم وولايتهم المذكورين ، الحب والولاية اللذان (عند أهل الحق) لائمة الصديق ، وهذا في غاية الوضوح.

(٢) لولا أن لهم منصباً من قبل الله يستوجب السمع والطاعة ، ما كانت محبتهم بهذه المثابة. وهذا الحديث أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً. ونقله السيوطي في إحياء الميت ، والنبهاني في أربعينه ، وغير واحد من الأعلام.

(٣) أخرجه الطبراني والحاكم كما في أربعين النبهاني ، وإحياء السيوطي وغيرهما ، وهذا الحديث نظير قوله عليه السلام في حديث سمعته قريبا : «الذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا» ولولا أن بغضهم بغض الله ولرسوله ما جطت أعمال مبغضهم ولو صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ، ولولا نيابتهم عن النبي عليه السلام ما كانت لهم هذه المنزلة. وأخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه - كما في أربعين النبهاني وإحياء السيوطي - عن أبي سعيد قال : قال رسول الله عليه السلام : «الذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا دخل النار» اهـ وأخرج الطبراني - كما في أربعين النبهاني وإحياء السيوطي - عن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال لمعاوية بن خديج : «ياك وبغضنا أهل البيت فإن رسول الله عليه السلام قال : «لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا زيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار» اهـ. وخطب النبي عليه السلام ، فقال : «يا أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا». أخرجه الطبراني في الأوسط ، كما في إحياء السيوطي ، وأربعين النبهاني وغيرهما.

محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله...» إلى آخر خطبته العصماء^١ (٥٩) التي أراد ﷺ أن يرد بها شوارد الأهواء ، ومضامين هذه الأحاديث كلها متواترة (٦٠) ولا سيما من طريق العترة الطاهرة (٦١) وما كان لتثبت لهم هذه المنازل ، لولا أنهم حجج الله البالغة (٦٢) ومناهل شريعته السائغة ، والقائمون مقام رسول الله ﷺ في أمره ونهيه ، والممثلون له بأجلى مظاهر هديده ، فالحب لهم بسبب ذلك محب لله ولرسوله ، والمبغض لهم مبغض لهما (٦٣) وقد قال ﷺ : « لا يحبنا [أهل البيت] إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي »^٢ (٦٤) ولذا قال فيهم الفرزدق (٦٥) :

من معشر حبه دين ويغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : «إني وأطائب أرومتي ، وأبرار عترتي ، أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً ، بنا ينفي الله الكذب ، وبنا يعقر الله أنياب الذئب الكلب ، وبنا يفك الله عنقكم ، وينزع ربق أعناقكم ، وبنا يفتح الله ويختم»^٣ (٦٦). وحسبنا في إثارةهم على من سواهم ، إثارة الله عز وجل إياهم ، حتى جعل الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على جميع عباده ، فلا تصح بدونها صلاة أحد من العالمين ، صديقاً كان أو ذا نور أو نورين أو أنوار ، بل لا بد لكل من عبد الله بفرائضه ، أن يعبد في أثنائها بالصلاة

(١) أخرجها الإمام الثعلبي في تفسير آية المودة من تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي عن رسول الله ﷺ ، وأرسلها الزمخشري في تفسير الآية من كشفه إرسال المسلمات ، فراجع.

(٢) أخرجه الملا كما في المقصد الثاني من مقاصد الآية ١٤ من الباب ١١ من الصواعق.

(٣) أخرجه عبد الغني بن سعد في إيضاح الإشكال ، وهو الحديث ٦٠٥٠ من أحاديث الكنز في آخر صفحة ٣٩٦ من جزئه ٦.

عليهم (٦٧) كما يعبد به بالشهادتين ، وهذه منزلة عنت لها وجوه الأمة ، وخشعت أمامها أبصار من ذكرت من الأئمة ، قال الإمام الشافعي (رحمه الله) (٦٨) :

يا أهل بيت رسول الله حبيكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^١
ولنكتف الآن بهذا القدر ، مما جاء في السنة المقدسة من الأدلة على وجوب الأخذ
بسننهم ، والجري على أسلوبهم ، وفي كتاب الله عز وجل آيات محكمات توجب ذلك
أيضاً ، أوكلناها إلى شاهد لبكم ومرهف ذهنكم وأنتم ممن تكفيه اللمحة الدالة ، ويستغني
بالرمز عن الإشارة ، والحمد لله رب العالمين.

ش

المراجعة ١١

٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١ . الإعجاب بما أوردناه من السنن الصريحة

٢ . الدهشة في الجمع بينها وبين ما عليه الجمهور.

٣ . الاستظهار بالتماس الحجج من الكتاب

تشرفت بكتابك الجليل ، سديد المناهج ، متسنى التحصيل ، ملأت الدلو به إلى عقد
الكرب ، وتحدرت فيه تحدر السيل من رؤوس الجبال ، قلبت فيه طرفي ، وتأملت ملياً
فرايتك بعيد المستمر^٢ ، ثبتاً في الغدر^٣ ، شديد العارضة^٤ ، غرب اللسان^٥.

(١) هذان البيتان من مدائح الشافعي السائرة وهما بمكان من الانتشار والاشتهار ، وقد أرسلهما عنه إرسال
المسلمات غير واحد من الثقات كابن حجر في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
ص ٨٨ من صواعقه ، والنهباني في ص ٩٩ من الشرف المؤبد ، والإمام أبي بكر بن شهاب الدين في رشفة
الصادي ، وجماعة آخرين.

(٢) قوياً في الخصومة لا يسأم المراس . .

(٣) الغدر - بفتحيتن - : الأرض الرخوة ذات الأحجار والحفر ؛ يقال : رجل ثبت الغدر إذا كان ثابتاً في الحرب أو
الجدال أو نحوهما.

(٤) أي شديد القدرة على الكلام.

(٥) أي حديده.

٢- وحين أغرقت في البحث عن حجتك ، وأمعنت في التنقيب عن أدلتك ، رأيتني في أمر مريج ، أنظر في حججك فأراها ملزمة ، وفي بيناتك فأجدها مسلمة ، وانظر في أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام فإذا هي بمكانة من الله ورسوله ﷺ ، يخفض لها جناح الذل هيبة وإجلالاً ، ثم انظر إلى جمهور أهل القبلة والسواد الأعظم من ممثلي هذه الملة ، فإذا هم مع أهل البيت عليهم السلام على خلاف ما توجه ظواهر تلك الأدلة ، فأنا أوامر مني نفسين : نفساً تنزع إلى متابعة الأدلة ، وأخرى تفزع إلى الأكثرية من أهل القبلة ، قد بذلت لك الأولى قيادها ، فلا تنبو في يديك ، ونبت عنك الأخرى بعنادها ، فاستعصت عليك.

٣- فهل لك أن تستظهر عليها بحجج من الكتاب قاطعة تقطع عليها وجهتها ، وتحول بينها وبين الرأي العام ، ولك السلام.

س

المراجعة ١٢

٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

حجج الكتاب

إنكم - بحمد الله - ممن وسعوا الكتاب علماً ، وأحاطوا بجليه وخفيه خبراً ، فهل نزل من آياته الباهرة ، في أحد ما نزل في العترة الطاهرة ؟ هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم ؟^٢ وهل لأحد من العالمين كآية تطهيرهم ؟^٣ (٦٩). هل حكم بافراض المودة لغيرهم بحكم التنزيل^٤ (٧٠). وهل هبط بأية المباهلة بسواهم جبرائيل ؟^٥ (٧١).

(١) قال في اللسان : والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين ، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتناه عنه ، فجعلوا التي تأمره نفساً ، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى.

(٢) كما حكمت بذهابه عنهم في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ . سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٣) كلا ، بل ليس لأحد ذلك وقد امتازوا بها فلا يلحقهم لاحق ولا يطمع في إدراكهم طامع .

(٤) كلا ، بل اختصاصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم على من سواهم ، فقال : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة ﴾ وهي هنا مودتهم ﴿ نزل له فيها حسناً إن الله غفور ﴾ لأهل مودتهم ﴿ شكور ﴾ لهم على ذلك . سورة الشورى : ٢٣ .

(٥) كلا ، وإنما هبط بأية المباهلة بهم خاصة ، فقال عز من قائل : ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ الآية . سورة آل عمران : ٦١ .

هل أتى ﴿هل أتى﴾ بمدح سواهم لا ومولى بذكرهم حلاها^١ (٧٢)
 أليسوا حبل الله الذي قال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾^٢ (٧٣).
 والصادقين الذين قال: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾^٣ (٧٤).
 وصراط الله الذي قال: ﴿وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ (٧٦) وسيله
 الذي قال: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾^٤ (٧٧) وأولي الأمر الذين
 قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^٥ (٧٨)

(١) إشارة إلى نزول سورة الدهر فيهم وفي أعدائهم، ومن أراد الوقوف على جلية الأمر في كل من آية التطهير
 وآية المباهلة وآية المودة في القربى وسورة الدهر، فعليه بـ (كلمتنا الغراء) فإنها الشفاء من كل داء وبها رد
 جماع الأعداء وزجر غراب الجهلاء والحمد لله.

(٢) أخرج الإمام الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبان بن تغلب عن الإمام جعفر
 الصادق عليه السلام قال: «نحن حبل الله الذي قال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾. اهـ. وعدها ابن
 حجر في الآيات النازلة فيهم فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من
 صواعقه، ونقل في تفسيرها عن الثعلبي ما سمعته من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وقال الإمام الشافعي
 - كما في رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين -:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل (٧٤)

(٣) الصادقون هنا: رسول الله والأئمة من عترته الطاهرة بحكم صحاحنا المتواترة، وهو الذي أخرجه الحافظ
 أبو نعيم وموفق بن أحمد ونقله ابن حجر في تفسير الآية الخامسة من الباب ١١ من صواعقه ص ٩٠ عن
 الإمام زين العابدين عليه السلام في كلام له أورده في أواخر (المراجعة ٦).

(٤) كان الباقر والصادق عليه السلام يقولان: الصراط المستقيم هنا هو الإمام، ولا تتبعوا السبل أي أئمة الضلال،
 فتفرق بكم عن سبيله ونحن سبيله.

(٥) أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بسنده الصحيح عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر (محمد الباقر
 عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، فكان جوابه: ﴿ألم تر إلى
 الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا
 سبيلا﴾ يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلا ﴿ولئك الذين لعنهم الله
 ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك﴾ يعني الإمامة والخلافة ﴿فإذا لا يؤتون الناس
 نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ ونحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة

←

وأهل الذكر الذين قال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^١ (٧٩) والمؤمنين الذين قال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾^٢ (٨٠).

والهداة الذين قال: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾^٣ (٨١).

أليسوا من الذين أنعم الله عليهم، وأشار في السبع المثاني والقرآن العظيم إليهم، فقال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾^٤ (٨٢).

وقال: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾^٥ (٨٣).

ألم يجعل لهم الولاية العامة؟

ألم يقصرها بعد الرسول عليهم؟

→
دون خلقه ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾ يقول جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون به في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد ﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾.

(١) أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية قال علي: «نحن أهل الذكر» وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى؛ وقد أخرج العلامة البحريني في الباب ٣٥ نيفا وعشرين حديثا صحيحا في هذا المضمون.

(٢) أخرج ابن مردويه في تفسير الآية: أن المراد بمشاققة الرسول هنا إنما هي المشاققة في شأن علي عليه السلام، وأن الهدى في قوله: ﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ إنما هو شأنه عليه السلام. وأخرج العياشي في تفسيره نحوه. والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أن سبيل المؤمنين إنما هو سبيلهم عليهم السلام.

(٣) أخرج الثعلبي في تفسيره هذه الآية من تفسيره الكبير عن ابن عباس قال: (لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون)، وهذا هو الذي أخرجه غير واحد من المفسرين وأصحاب السنن عن ابن عباس. وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) عن هذه الآية، فقال: (كل إمام هاد في زمانه)، وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام في تفسيرها: (المنذر رسول الله، والهادي علي)، ثم قال: (والله ما زالت فينا إلى الساعة). اهـ.

(٤) أخرج الثعلبي في تفسيره الفاتحة من تفسيره الكبير عن أبي بريدة: أن الصراط المستقيم هو صراط محمد وآله. وعن تفسير وكيع بن الجراح عن سفيان الثوري عن السدي عن أسباط ومجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: (قولوا أرشدنا إلى حب محمد وأهل بيته).

(٥) أئمة أهل البيت عليه السلام من سادات الصديقين والشهداء والصالحين بلا كلام.

فاقرأ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾^١ (٨٤).
 ألم يجعل المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحا مشروطة بالاهتداء إلى ولايتهم إذ يقول: ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾^٢ (٨٥).
 ألم تكن ولايتهم من الأمانة التي قال الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾^٣ (٨٦). ألم تكن من السلم الذي أمر الله بالدخول فيه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾^٤ (٨٧).
 أليست هي النعيم الذي قال الله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾^٥ (٨٨).

-
- (١) أجمع المفسرون - كما اعترف به القوشجي وهو من ثمة الأشاعرة في مبحث الإمامة من شرح التجريد - على أن هذه الآية إنما نزلت في علي عليه السلام حين تصدق راعيا في الصلاة. وأخرج النسائي في صحيحه نزولها في علي عليه السلام عن عبد الله بن سلام، وأخرج نزولها فيه أيضا صاحب الجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة. وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام كما سنوضحه عند إيرادها.
- (٢) قال ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه: الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ (قال) قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل بيته عليهم السلام (قال) وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أيضا، ثم روى ابن حجر أحاديث في نجاة من اهتدى إليهم عليهم السلام، وقد أشار بما نقله عن الباقر عليه السلام إلى قول الباقر عليه السلام للحارث بن يحيى: (يا حارث ألا ترى كيف اشترط الله ولم تنفع إنسانا التوبة ولا الإيمان ولا العمل الصالح حتى يهتدي إلى ولايتنا)، ثم روى عليه السلام بسنده إلى جده أمير المؤمنين عليه السلام قال: (والله لو تاب رجل وآمن وعمل صالحا ولم يهتد إلى ولايتنا ومعرفة حقنا ما أغنى ذلك عنه شيئا). اهـ. وأخرج أبو نعيم الحافظ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن علي نحوه. وأخرج الحاكم عن كل من الباقر والصادق عليهما السلام وثابت البناني وأنس بن مالك مثله.
- (٣) أجمع معنى الآية في الصافي وتفسير علي بن إبراهيم، وما رواه ابن بابويه في ذلك عن كل من الباقر والصادق والرضا عليهم السلام. وما أورده العلامة البحريني في تفسيرها من حديث أهل السنة في الباب ١١٥ من كتابه (غاية المرام).
- (٤) أخرج العلامة البحريني في الباب ٢٢٤ من كتابه غاية المرام اثني عشر حديثا من صحاحنا في نزولها بولاية علي والائمة من بنيته عليه السلام والنهي عن اتباع غيرهم، وذكر في الباب ٢٢٣ أن الأصفهاني الأموي روى ذلك عن علي من عدة طرق.
- (٥) أخرج العلامة البحريني في الباب ٤٨ من كتابه (غاية المرام) ثلاثة أحاديث من طريق أهل السنة في أن النعيم هو ما أعم الله على الناس بولاية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وأخرج في الباب ٤٩ اثني عشر حديثا من صحاحنا في هذا المعنى، فراجع.

ألم يؤمر رسول الله ﷺ بتبليغها؟ ألم يضيق عليه في ذلك بما يشبه التهديد من الله عز وجل حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكُم مِّنَ النَّاسِ إِنِ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^١ (٨٩).

ألم يصدع رسول الله ﷺ بتبليغها عن الله يوم الغدير حيث هضب خطابه، وعب عابه فأنزل الله يومئذ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٢ (٩٠).

ألم تر كيف فعل ربك يومئذ بمن جحد ولايتهم علانية، وصادر بها رسول الله ﷺ جهرة فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فرماه الله بحجر من سجيل كما فعل من قبل بأصحاب الفيل، وأنزل في تلك الحال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^٣ (٩١).

وسيسأل الناس عن ولايتهم يوم يبعثون كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^٤ (٩٢).

(١) أخرجه غير واحد من أصحاب السنن كالإمام الواحدي في سورة المائدة من كتابه (أسباب النزول) عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خم في علي بن أبي طالب. وأخرجه الإمام الثعلبي في تفسيره بسندين، ورواه الحموي الشافعي في فرائده بطرق متعددة عن أبي هريرة مرفوعاً، ونقله أبو نعيم في كتابه (نزول القرآن) بسندين أحدهما عن أبي رفع والآخر عن الأعمش عن عطية مرفوعين، وفي غاية المرام تسعة أحاديث من طريق أهل السنة، وثمانية صحاح من طريق الشيعة بهذا المعنى، فراجع منه باب ٣٧ وباب ٣٨.

(٢) نص على ذلك الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام وخلفه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام فيما صح عنهما عليهما السلام، وأخرج أهل السنة ستة أحاديث بأسانيدهم المرفوعة إلى رسول الله ﷺ، صريحة في هذا المعنى. والتفصيل في الباب ٣٩ والباب ٤٠ من غاية المرام.

(٣) أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير هذه القضية مفصلة، ونقلها العلامة المصري الشبلنجي في أحوال علي عليه السلام من كتابه (نور الأبصار) فراجع منه ص ٧١ والقضية مستفيضة، ذكرها الحلبي في أواخر حجة الوداع من الجزء ٣ من سيرته، وأخرجها الحاكم في تفسير المعارج من المستدرک، فراجع صفحة ٥٠٢ من جزئه الثاني.

(٤) أخرج الديلمي - كما في تفسير هذه الآية من الصواعق - عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (وقفوههم انهم مسؤولون عن ولاية علي). وقال الواحدي - كما في تفسيرها من الصواعق أيضاً -: روي في قوله تعالى وقفوههم انهم مسؤولون أي عن ولاية علي وأهل البيت عليه السلام (قال): لأن الله أمر نبيه أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، (قال): والمعنى أنهم يسألون هل والوهم حق الموالة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة، انتهى كلام

ولا غرو فإن ولايتهم لمأبعث الله به الأنبياء وأقام عليه الحجج والأوصياء ، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رَسَلْنَا﴾^١ (٩٣). بل هي مما أخذ الله به العهد من عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^٢ (٩٤). وتلقى آدم من ربه كلمات التوسل بهم فتاب عليه^٣ (٩٥). وما كان الله ليعذبهم^٤ (٩٦) وهم أمان أهل الأرض ووسيلتهم إليه (٩٧) فهم الناس المحسودون الذين قال الله فيهم : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٥ (٩٨). وهم الراسخون في العلم الذين قال : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^٦ (٩٩).

→

- الواحدي. وحسبك أن ابن حجر عدّها في الباب ١١ من الصواعق في الآيات النازلة فيهم ، فكانت الآية الرابعة وقد أطل الكلام فيها ، فراجع.
- (١) حسبك ما أخرجه في تفسيرها أبو نعيم الحافظ في حليته ، وما أخرجه كل من الثعلبي والنيسابوري والبرقي في معناها من تفاسيرهم ، وما رواه إبراهيم بن محمد الحموي وغيره من أهل السنة ، ودونك ما رواه أبو علي الطبرسي في تفسيرها من مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي الباب ٤٤ والباب ٤٥ من (غاية المرام) سنن في هذا المعنى تتلج الأوام.
- (٢) يدلّك على هذا حديثنا عن أهل البيت في تفسير الآية.
- (٣) أخرج ابن المغازلي الشافعي عن ابن عباس قال : سئل النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؟ قال ﷺ : (سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفر له). اهـ. وهذا هو المأثور عندنا في تفسير الآية.
- (٤) راجع من الصواعق المحرقة لابن حجر تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾. وهي الآية السابعة من آيات فضلهم التي أوردها في الباب ١١ من ذلك الكتاب تجد الاعتراف بما قلناه.
- (٥) كما اعترف به ابن حجر حيث عدّ هذه الآية من الآيات النازلة فيهم فكانت الآية السادسة من آياتهم التي أوردها في الباب ١١ من صواعقه. وأخرج ابن المغازلي الشافعي - كما في تفسير هذه الآية من الصواعق - عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : (نحن الناس المحسودون والله). وفي الباب ٦٠ والباب ٦١ من غاية المرام ثلاثون حديثا صحيحا صريحا بذلك.
- (٦) أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بسنده الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال : نحن قوم فرض الله عزوجل طاعتنا ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وأخرجه الشيخ في التهذيب بإسناده الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا.

وهم رجال الأعراف الذين قال: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾^١ (١٠٠).

ورجال الصدق الذين قال: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^٢ (١٠١).

ورجال التسييح الذين قال الله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾^٣ (١٠٢).

(١) أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحزمة وعلي وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه. اهـ. وأخرج الحاكم بسنده إلى علي قال: (تقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم)، وعن سلمان الفارسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا علي إنك والأوصياء من ولدك على الأعراف). الحديث. ويؤيده حديث أخرجه الدارقطني - كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق - أن علياً عليه السلام قال لل ستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملة: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهم لا، قال ابن حجر: معناه ما رواه عنتره عن علي الرضا عليه السلام أن النبي ﷺ قال له: يا علي أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك. (قال ابن حجر): وروى ابن السماك أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز.

(٢) وذكر ابن حجر في الفصل الخامس من الباب ٩ من صواعقه، حيث ذكر وفاة علي عليه السلام أنه سئل وهو على المنبر في الكوفة عن قوله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فقال: اللهم غفرًا، هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن المطلب، فأما عبيدة فقد قضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنظر أشقاها، يخضب هذه من هذه، وأشار بيده إلى خيته وهامته، عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم ﷺ. اهـ. وأخرج الحاكم كما في تفسيرها من مجمع البيان عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي عليه السلام قال: (فينا نزلت ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلاً).

(٣) عن تفسير مجاهد ويعقوب بن سفيان عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ أن دحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند أحجار الزيت ثم ضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه، فففر الناس إليه وتركوا النبي ﷺ قائماً يخطب على المنبر إلا علياً والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبا ذر والمقداد، فقال النبي ﷺ: لقد نظر الله إلى مسجدي يوم الجمعة فلولا هؤلاء لأضرمت المدينة على أهلها نارا وحصبوا بالحجارة كقوم لوط. وأُنزل الله فيمن بقي مع رسول الله

وببوتهم هي التي ذكرها الله عز وجل فقال: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾^١ (١٠٣).

وقد جعل الله مشكاتهم في آية النور مثلاً لنوره^٢ (١٠٤) ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾^٣.

وهم ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾^٤ (١٠٥).

وهم الصديقون^٥ (١٠٦)، والشهداء والصالحون.

وفيههم وفي أوليائهم قال الله تعالى: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه

→

والله في المسجد قوله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة﴾ الآية.

(١) أخرج الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير بالإسناد إلى أنس بن مالك وبريد قالا: (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها، وأشار إلى بيت علي وفاطمة، قال نعم من أفاضلها). اهـ. وفي الباب ١٢ من (غاية المرام) تسعة صحاح، ينشق منها عمود الصباح.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ الآية، فقد أخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالإسناد إلى علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾، قال عليه السلام: «المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن والحسين، والزجاجة كأنها كوكب دري» قال: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين، «توقد من شجرة مباركة» شجرة إبراهيم، «لا شرقية ولا غربية» لا يهودية ولا نصرانية، «يكاد زيتها يضيء» قال: يكاد العلم ينطق منها «ولو لم تمسه نار نور على نور» قال: فيها إمام بعد إمام «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله لولايتنا من يشاء. اهـ. وهذا التأويل مستفيض عن أهل بيت التنزيل.

(٣) سورة الروم: ٢٧.

(٤) أخرج الديلمي - كما في الحديث ٢٩ من الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر - عن عائشة والطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (السُّبُق ثلاثة، فالسابق إلى موسى عليه السلام يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى عليه السلام صاحب ياسين، والسابق إلى محمد ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام) اهـ. وأخرجه الموفق بن أحمد، والفقهاء ابن المغازلي بالإسناد إلى ابن عباس.

(٥) أخرج ابن النجار - كما في الحديث ٣٠ مما أشرنا إليه من الصواعق - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب). وأخرج أبو نعيم وابن عساكر - كما في الحديث ٣١ مما أشرنا إليه من الصواعق - عن ابن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال: (الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين قال يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم). اهـ. والصحيح في سبقه وكونه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم متواترة.

يعدلون^١ (١٠٧).

وقال في حزبهم وحزب أعدائهم: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^٢ (١٠٨).

وقال في الحزبين أيضاً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^٣ (١٠٩).

وقال فيهما أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^٤ (١١٠).

وقال فيهم وفي شيعتهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^٥ (١١١).

وقال فيهم وفي خصومهم: ﴿هَٰذَا نَخَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^٦ (١١٢).

(١) نقل صدر الأئمة موفق بن أحمد عن أبي بكر بن مردويه بسنده إلى علي عليه السلام قال: (تفترق هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فإنها في الجنة وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وهم أنا وشيعتي). اهـ.

(٢) أخرج الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ فقال: (أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعلي بن أبي طالب بعدي وأقر بولايته، فقيل: وأصحاب النار؟ قال: من سخط الولاية ونقض العهد وقاتله بعدي). وأخرجه الصدوق عن علي عليه السلام. وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (والذي نفسي بيده إن هذا - يعني علياً - وشيعته هم الفائزون يوم القيامة).

(٣) راجع معنى الآية في تفسير علي بن إبراهيم إن شئت، أو الباب ٨١ والباب ٨٢ من غاية المرام.

(٤) حيث نزلت هذه الآية في حمزة وعلي وعبيدة لما برزوا لقتال عتبة وشيبة والوليد، فالذين آمنوا حمزة وعلي وعبيدة، والذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة والوليد، وفي ذلك أحاديث صحيحة.

(٥) حسبك في ذلك أن ابن حجر قد اعترف بنزولها فيهم وعدّها من آيات فضلهم فهي الآية ١١ من آياتهم التي أوردتها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه، فراجعها وراجع ما أوردناه من الأحاديث المتعلقة بهذه الآية في فصل بشارت السنة للشيععة من فصولنا المهمة.

(٦) أخرج البخاري في تفسير سورة الحج ص ١٠٧ من الجزء ٣ من صحيحه بالإسناد إلى علي عليه السلام قال: (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة) قال البخاري: قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَا نَخَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وصاحبه حمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة

←

وفيهم وفي عدوهم نزل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ❖ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون ❖ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾^١ (١١٣).

وفيهم وفيمن فاخرهم بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٢ (١١٤).

وفي جميل بلائهم وجلال عنائهم قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^٣ (١١٥).

وقال: ﴿إِنِ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهَا الْجَنَّةُ

→

وصاحبه عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. اهـ. وأخرج في الصفحة المذكورة عن أبي ذر أنه كان يقسم أن هذه الآية: ﴿هَٰذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في علي وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر. (١) نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام والوليد بن عتبة بن أبي معيط بلا نزاع، وهذا هو الذي أخرجه المحدثون وصرح به المفسرون، أخرج الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في معنى الآية من كتابه (أسباب النزول) بالإسناد إلى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عتبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سنناً وأبسط منك لساناً وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق؛ فنزل ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال: يعني بالمؤمن علياً عليه السلام وبالفاسق الوليد بن عتبة.

(٢) نزلت هذه الآية في علي وعمه العباس وطلحة بن شيبه، وذلك أنهم افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه والي ثيابه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال علي: ما أدري ما تقولان؛ لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا ما نقله الإمام الواحدي - في معنى الآية من كتب أسباب النزول - عن كل من الحسن البصري والشعبي والقرطبي، ونقل عن ابن سيرين ومرة الهمداني أن علياً عليه السلام قال للعباس: ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أأست في أفضل من الهجرة، أأست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام، فنزلت الآية.

(٣) أخرج الحاكم في صفحة ٤ من الجزء ٣ من المستدرک عن ابن عباس قال: شرى علي عليه السلام نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديث، وقد صرح الحاكم بصحته على شرط الشيخين وإن لم يخرجاه، واعترف بذلك الذهبي في تلخيص المستدرک، وأخرج الحاكم في الصفحة المذكورة أيضاً عن علي بن الحسن قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب إذ بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نقل أبياتا لعلي أولها:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ❖ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ❖ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون❖^١ (١١٦).

وقد صدقوا بالصدق فشهد لهم الحق تبارك اسمه فقال: ❖والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون❖^٢ (١١٧).

فهم رهط رسول الله ﷺ المخلصون، وعشيرته الأقربون الذين اختصهم الله بجميل رعايته وجليل عنايته فقال: ❖وأُنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ❖ (١١٨).

وهم أولوا الأرحام، ❖وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله❖ (١١٩). وهم المرتقون يوم القيامة إلى درجته، الملحقون به في دار جنات النعيم بدليل قوله تعالى: ❖والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء❖^٣ (١٢٠).

وهم ذوو الحق الذي صدع القرآن بإيتائه: ❖وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ❖ (١٢١)

(١) أخرج المحدثون والمفسرون ولصحاب الكتب في أسباب النزول بأسانيدهم إلى ابن عباس في قوله تعالى: ❖الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية❖ قال: نزلت في علي بن أبي طالب؛ كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحدا وبالنهار واحدا وفي السر واحدا وفي العلانية واحدا، فنزلت الآية. أخرجه الإمام الواحدي في أسباب النزول بسنده إلى ابن عباس، وأخرجه أيضا عن مجاهد، ثم نقله عن الكلبي مع زيادة فيه.

(٢) الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أمير المؤمنين ع بنص الباقر والصادق والكاظم والرضا ع وابن عباس وابن الحنفية وعبد الله بن الحسن والشهيد زيد بن علي بن الحسين وعلي بن جعفر الصادق ع، وكان أمير المؤمنين محتج بها لنفسه. وأخرج ابن المغازلي في مناقبه عن مجاهد قال: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ والذي صدق به علي ع. وأخرجه الحافظان ابن مردويه وأبو نعيم وغيرهما.

(٣) أخرج الحاكم في تفسير سورة الطور ص ٤٦٨ من الجزء لثاني من صحيحه المستدرک عن ابن عباس في قوله عز وجل: ❖ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم❖ قال: إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ: ❖والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم❖ يقول: وما نقصناهم.

وذوو الخمس الذي لا تبرأ الذمة إلا بأدائه: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ (١٢٢).

وأولوا الفياء: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى﴾ (١٢٣).

وهم أهل البيت المخاطبون بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (١٢٤).

وآل ياسين الذين حياهم الله في الذكر الحكيم فقال: ﴿سلام على آل ياسين﴾^١ (١٢٥).

وآل محمد الذين فرض الله على عباده الصلاة والسلام عليهم، فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾^٢ (١٢٦) فقالوا: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه؛ فكيف الصلاة عليك؟ قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... الحديث، فعلم بذلك أن الصلاة عليهم جزء من الصلاة المأمور بها في هذه الآية، ولذا عدها العلماء من الآيات النازلة فيهم، حتى عدها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه في آياتهم^٣ عليه السلام فـ ﴿طوبىٰ لهم وحسن مآب﴾ (١٢٧) ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ (١٢٨).

(١) هذه هي الآية الثالثة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه، ونقل أن جماعة من المفسرين نقلوا عن ابن عباس القول: بأن المراد بها السلام على آل محمد، قال ابن حجر وكذا قال الكلبي إلى أن قال: وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته يساوونه في خمسة أشياء: في السلام، قال: السلام عليك أيها النبي وقال: (سلام على آل ياسين). وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد. وفي الطهارة وقال الله تعالى: ﴿طه﴾ أي يا طاهر وقال: ﴿وطهركم تطهيرا﴾. وفي تحريم الصدقة. وفي المحبة قال تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ وقال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا مودة في القربى﴾.

(٢) كما أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن من الجزء الثالث من صحيحه في باب أن الله وملائكته يصلون على النبي من تفسير سورة الأحزاب، وأخرجه مسلم في باب الصلاة على النبي عليه السلام من كتاب الصلاة في الجزء الأول من صحيحه، وأخرجه سائر المحدثين عن كعب بن عجرة.

(٣) فراجع الآية الثانية من تلك الآيات ص ٨٧.

(٤) أخرج الثعلبي في معناها من تفسيره الكبير بسند يرفعه إلى رسول الله عليه السلام قال: (طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة. فقال بعضهم يا رسول الله سألناك عنها فقلت: أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة؟ فقال عليه السلام: أليس داري ودار علي واحدة؟).

من يباريهم وفي الشمس معنى مجهد متعب لمن باراها (١٢٩)

فهم المصطفون من عباد الله ، السابقون بالخيرات بإذن الله ، الوارثون كتاب الله الذين قال الله فيهم : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو الذي لا يعرف الأئمة ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو الموالي للأئمة ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ وهو الإمام ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾^١ (١٣٠). وفي هذا القدر من آيات فضلهم كفاية ، وقد قال ابن عباس : (نزل في علي وحده ثلاثمائة آية)^٢ (١٣١).

وقال غيره : (نزل فيهم ربع القرآن) (١٣٢) ولا غرو فإنهم وإياه الشقيقان لا يفترقان ، فأكتف الآن بما تلوناه عليك من آيات محكمات هن أم الكتاب ، خذا في سراح ورواح ، ينفجر منها عمود الصباح ، خذا رهوا سهوا ، وعفوا صفوا ، خذا من خير عليه سقطت ، ولا ينبؤك مثل خير ، والسلام.

ش

المراجعة ١٣

٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

قياس ينتج ضعف الروايات في نزول تلك الآيات

لله مراعى يراعك ، ومقاطر أقلامك ، ما أرفع مهارقها^٣ عن مقام المتحدي والمعارض ، وما أمنع وضائعها^٤ عن نظر الناقد والمستدرک ، تتجارى أضايرها^٥ إلى غرض

(١) أخرج ثقة الإسلام الكليني بسنده الصحيح عن سالم قال : سألت أبا جعفر (الباقر) عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الآية ، قال عليه السلام : (السابق بالخيرات هو الإمام ، والمقتصد هو العارف بالإمام ، والظالم لنفسه هو الذي لا يعرف الإمام) ، وأخرج نحوه عن الإمام أبي عبد الله الصادق وعن الإمام أبي الحسن الكاظم وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام . وأخرجه عنهم الصدوق وغير واحد من أصحابنا ، وروى ابن مردويه عن علي عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية : (هم نحن). والتفصيل في كتابنا (تنزيل الآيات). وفي غاية المرام.

(٢) أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس كما في الفصل ٣ من الباب ٩ من الصواعق ص ٧٦.

(٣) إي صحائفها.

(٤) جمع وضبعة وهو الكتاب يكتب فيه الحكمة.

(٥) جمع إضبارة ، وهي الحزمة من الصحف .

واحد، وتتوارد أضاميمها^١ في طريق قاصد، فلا ترد مراسيمها على سمع ذي لب فتصدر
إلا عن استحسان.

أما مرسومك الأخير فقد سال أتية^٢ وطفحت أواذيه^٣ جئت فيه بالآيات المحكمة،
والبيانات القيمة، فخرجت من عهدة ما أخذ عليك، ولم تقصر في شيء مما عهد به إليك،
فالراد عليك سيئ اللجاج، صلف الحجاج، يماري في الباطل ويتحكم تحكم الجاهل.
وربما اعترض بأن الذين رووا نزول تلك الآيات فيما قلتهم إنما هم رجال الشيعة،
ورجال الشيعة لا يحتج أهل السنة بهم، فماذا يكون الجواب (١٣٣)، تفضلوا به إن شئتم
ولكم الشكر، والسلام.

س

المراجعة ١٤

٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

١. بطلان قياس المعترض

٢. المعترض لا يعلم حقيقة الشيعة

٣. امتيازهم في تغليظ حرمة الكذب في الحديث

١- الجواب أن قياس هذا المعترض باطل، وشكله عقيم، لفساد كل من صغراه
وكبراه.

أما الصغرى وهي قوله: (إن الذين رووا نزول تلك الآيات إنما هم من رجال
الشيعة) فواضحة الفساد، يشهد بهذا ثقة أهل السنة الذين رووا نزولها فيما قلناه،
ومسانيدهم تشهد بأنهم أكثر طرقا في ذلك من الشيعة كما فصلناه في كتابنا (تنزيل الآيات
الباهرة في فضل العترة الطاهرة). وحسبك (غاية المرام) المنتشر في بلاد الإسلام (١٣٤).

وأما الكبرى وهي قوله: (إن رجال الشيعة لا يحتج أهل السنة بهم) فأوضح فساداً
من الصغرى؛ تشهد بهذا أسانيد أهل السنة وطرقهم المشحونة بالمشاهير من رجال
الشيعة، وتلك صحاحهم الستة وغيرها تحتج برجال من الشيعة، وصمهم الواصمون
بالتشيع والانحراف، ونبذوهم بالرفض والخلاف، ونسبوا إليهم الغلو والإفراط والتكبر

(١) جمع إضمامة، وهي بمعنى الإضارة.

(٢) سيله.

(٣) جمع آذي وهو موج البحر.

عن الصراط ، وفي شيوخ البخاري رجال من الشيعة نبذوا بالرفض ، ووصموا بالبغيض ، فلم يقدح ذلك في عدالتهم عند البخاري وغيره ، حتى احتجوا بهم في الصحاح بكل ارتياح ، فهل يضغى بعد هذا إلى قول المعترض : (إن رجال الشيعة لا يحتج أهل السنة بهم) كلا.

٢ - ولكن المعترضين لا يعلمون ، ولو عرفوا الحقيقة لعلموا أن الشيعة إنما جروا على منهاج العترة الطاهرة ، واتسموا بسماتها ، وأنهم لا يطبعون إلا على غرارها ، ولا يضربون إلا على قالبها ، فلا نظير لمن اعتمدوا عليه من رجالهم في الصدق والأمانة ، ولا قرين لمن احتجوا به من أبطالهم في الورع والاحتياط ، ولا شبيه لمن ركنوا إليه من أبدالهم في الزهد والعبادة وكرم الأخلاق ، وتهذيب النفس ومجاهدتها ومحاسبتها بكل دقة آناء الليل وأطراف النهار ، لا يبارون في الحفظ والضبط والإتقان ، ولا يجارون في تحصيل الحقائق والبحث عنها بكل دقة واعتدال ، فلو تجلت للمعترض حقيقتهم - بما هي في الواقع ونفس الأمر - لناط بهم ثقته ، وألقى إليهم مقاليد ، لكن جهله بهم جعله في أمرهم كخابط عشواء ، أو راكب عمياء في ليلة ظلماء ، يتهم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (١٣٥) وصدوق المسلمين محمد بن علي بن بابويه القمي (١٣٦) وشيخ الأمة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (١٣٧) ويستخف بكتبهم المقدسة - وهي مستودع علوم آل محمد عليه السلام - ويرتاب في شيوخهم أبطال العلم وأبدال الأرض الذين قصروا أعمارهم على النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

٣ - وقد علم البر والفاجر حكم الكذب عند هؤلاء الأبرار ، والألوف من مؤلفاتهم المنتشرة تلعن الكاذبين ، وتعلن أن الكذب في الحديث من الموبقات الموجبة لدخول النار (١٣٨) ، ولهم في تعمد الكذب في الحديث حكم قد امتازوا به حيث جعلوه من مفطرات الصائم ، وأوجبوا القضاء والكفارة على مرتكبه في شهر رمضان (١٣٩) ، كما أوجبوهما بتعمد سائر المفطرات ، وفقههم وحديثهم صريحان بذلك ، فكيف يتهمون بعد هذا في حديثهم ، وهم الأبرار الأخيار ، قوامون الليل صوامون النهار. وبماذا كان الأبرار من شيعة آل محمد وأوليائهم متهمين ، ودعاة الخوارج والمرجئة والقدرية غير متهمين ، لولا التحامل الصريح ، أو الجهل القبيح. نعوذ بالله من الخذلان ، وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والسلام.

ش